

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - مابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
نمن العدد ١٥ مليما

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٠٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ ربيع أول سنة ١٣٦٢ - الموافق ٨ مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

أسس الإصلاح للأستاذ عباس محمود العقاد

الفهرس

صفحة

أسس الإصلاح ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ..	١٨١
أظرف يوم ... : الدكتور زكي مبارك ...	١٨٤
الحكم الذاتي في المدرسة : الأستاذ السيد يعقوب بكر ...	١٨٨
ميدان تونس ... : الأستاذ محمد إبراهيم حسن ..	١٩٠
واسط مدينة الحجاج ... : الأستاذ يوسف يعقوب مكنوني	١٩٢
السيدة سكينة بنت الحسين : الأستاذ سعيد الديوه جي ...	١٩٥
الأزهر حصن الدين وينبوع { الأستاذ حسن عبد العال ...	١٩٧
الأدب ...	
من جنائيات المذاهب الصوفية : الأستاذ محمد يوسف موسى	١٩٨
العالم العربي ... : الأستاذ جورج نسلي ...	١٩٨
تراث بني إسرائيل ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...	١٩٩
من نوادر العرب ... : الأدب زكريا إبراهيم ...	١٩٩
كليوباترة ... : الأدب عبد الفتاح متولي غنم	٢٠٠

الإصلاح المرتجل ، أو الإصلاح الجزاف ، قلما ينفع وقد بضير
ونعني بالإصلاح المرتجل أو الإصلاح الجزاف كل إصلاح
لا يُنظر فيه إلى الحاجة التي تدعو إليه ، ولا إلى الأساس الذي
يقوم عليه . فهو كالدواء الذي يُعطى قبل معرفة الداء ،
أو كالعلاج الذي يعالج به الجهلاء كل داء : يفيد إن أفاد
مصادفة واتفاقاً ، ويضير - إن ضار - لأن الشأن فيه أن يضير
فلا بد لكل إصلاح من أساس يقوم عليه ، ومن حاجة

ينبغي فيها بمقدارها وعلى حسب البيئة التي تنشأ فيها

ولا بد لأولئك كله من تقدير صحيح لكثير من الأمور
تقول ذلك لأن حديث الإصلاح في العالم يجري على كل
لسان ، وينقله المتحدثون في مصر ليقبسوا عليه ما يقبل القياس ،
وبخاصة ما نقلته الأنباء البرقية عن « مشروع بيفردج » في البلاد
الإنجليزية ، وما يرتبط به من الشعب التي لا عداد لها في نواحي
السياسة والاقتصاد والأخلاق

ولا تريد هنا تفصيل القول في هذا المشروع ، فلهذا التفصيل
وقته حين ترد إلينا البحوث المسببة التي أحاطت به من جانب
القبول ومن جانب الإنكار ، ومن جانب آخر غير القبول

والعلاقة بين أصحاب المصانع وعمالهم وأصحاب المتاجر والمشتريين منهم ، كأنما جميع هؤلاء موظفون في شركة كبيرة أو ديوان كبير والميل الغالب بين الإنجليز هو الميل إلى الحرية الفردية سواء تمثلت في الديمقراطية أو في نظام من النظم التي تشبهها وتؤمن بصلاحتها .

نزع القوم إلى ذلك في مسائل الاقتصاد ، وفي مسائل السياسة ، وفي مسائل الأخلاق ، وفي مسائل الآداب والفنون والعلوم . فالحرية الفردية عندهم هي النعمة التي لا تعدلها نعمة ، والحكومات كلها عندهم إنما هي وسيلة من وسائل تحقيق هذه النعمة الكبرى : معيار صلاحها هو مقدار فلاحها في تحقيق هذه الناية التي لا تغلوها غاية

وتلخص مذهب القوم هذا في كتاب هربرت سبنسر عن الفرد والدولة ، أو عن « الإنسان » والحكومة ، تكبيراً لمكان الفرد ، وحداً من مكان الدولة

وساعد القوم على الإيمان بهذا المذهب أنهم من قديم الزمان فرديون غالون في حب الحرية الفردية ، أو هم فرديون تاريخياً وجغرافياً ونفسياً باتفاق الزمان والمكان ، وأحداث الحياة ، وتطورات النفوس

هم سكان جزيرة منغلون ، وأقاليمهم كانت فيما مضى ولايات منفصلة يشبه أن يكون كل أمير في ولاية ملكاً مستقلاً لا يدين للحكومة العامة بغير الولاء من بعيد ؛ وهم ركاب سفن تعودوا أن تكون كل سفينة كأنها وحدة مستقلة فوق الماء وتحت السماء ؛ وهم تجار بحر صون على حرية الأخذ والعطاء ؛ وهم من سلاسل الشمال « الضبابي » التي تعود أهلها الإيواء إلى المنازل كأنها القلاع والحصون لا يطرقها طارق بغير إذن من أصحابها . فهم حريون فرديون معرقون

أفنتطيع أن نقول اليوم إن مشروع الإصلاح الجديد قد قلب هذه الأوضاع جميعها رأساً على عقب وخرج بهزيمة الحرية الفردية في معادل الديمقراطية ؟

إن قلنا ذلك فنحن ناقضون لمنطق الحوادث ، بل منطق

الحرب الحاضرة على الخصوص

لأن الحرب الحاضرة في صميم لبابها حرب بين المسكرين

والإنكار وهو الاعتراف بالأساس كله - أو ببعض الأساس - ثم التعقيب عليه بالإضافة أو التعديل

فحسبنا الآن أن نقول إن المشروع يشتمل على النظم التي تكفل إعانة المعجزة والمطلين ووقاية الأطفال وتأمين الصحة العامة وتعويض المصابين في الأعمال القومية ، وما شاكل ذلك من ضروب الإعانة والصيانة والترفيه

حسبنا هذا الآن إلى أن يحين الأوان للبحث المفصل في أجزائه ، والمقابلة المفصلة بينه وبين نظائره من مواطن الإصلاح في البلاد المصرية ، وفي البلاد الشرقية على التعميم

إلا أن الوقت قد حان - بل حان جداً - لإقامة هذه المشروعات الإصلاحية كلها على أساسها القويم ، حذراً من يوم نصاب فيه بالإصلاح المرتجل أو الإصلاح الجزاف ، فلا ننجو من غوائله إلا بعد حرب أخرى كالحرب الحاضرة ، وساءت تلك من نجاة هي والمصيبة سواء !

هذا الإصلاح على أي أساس يقوم ؟

إن بعض الفضلاء الذين عقبوا على مشروع بيفرديج في مصر قد فهموا منه ، أنه غلبة للمذهب الحكوي على المذهب الفردي في معقل الفلسفة الفردية ، وهو البلاد الإنجليزية

وقبل التعقيب على هذا الفهم لا فني لنا عن بيان وجيز لما تقصده من المذهب الحكوي والمذهب الفردي في صدد هذا الإصلاح ، وصدد كل إصلاح من قبيله

فالذاهب الاجتماعية تشعب كثيراً بين الأمم الأوروبية ، ولكنها بعد هذا التشعب تنحصر في طرفين اثنين جامعين ، وهما توسيع الحرية الفردية أو توسيع الرقابة الحكومية

فالديمقراطية تميل إلى توسيع الحرية الفردية والنازية والفاشية والشيوعية - أيضاً - تميل إلى توسيع الرقابة الحكومية

وأنصار الديمقراطية يرون أن الرقابة الحكومية ينبغي أن تتناول الأقل الأقل من شئون الأفراد الخاصة والعامة ، ولا تمتد إلى شأن من شئون العقيدة أو التربية أو المعاملة إلا بحساب شديد وقد مقدور لا يتجاوز في الزيد

وأنصار الرقابة الحكومية بنوطون بالحكومة تدير الثروة العامة وتدير التربية العامة والهيمنة على الأعمال وروؤن الأموال

ويخطئ من يرجعون بنشأة الحرية الفردية إلى الثورات الحديثة ، أو إلى العهد الذي شاعت فيه كلمة الديمقراطية على ألسنة الخاصة والعامة في الجيلين الأخيرين .

فالحرية الفردية — أو الديمقراطية — قد نشأت مع الأديان السماوية في اليوم الذي آمن فيه الإنسان بالروح وآمن بالتكليف ، وآمن بالسعادة بين الأرواح أمام العزة الإلهية

يومئذ عرف الفرد أنه فرد له روح تناط بها الفرائض والواجبات ، ويناط بها الثواب والعقاب

ويومئذ أصبح الإنسان « وحدة » مستقلة أمام الله

ويومئذ قام أساس الديمقراطية في الأرض قياماً لا يزول ولن يزول ، إلا أن يذهب التاريخ فوضى بنير دلالة وغير اتجاه

ولهذا آمننا حق الإيمان بهزيمة الطغنيان في هذا الصراع القائم على الرغم من ظواهر النجاح في بداية الصراع . لأننا آمننا حق الإيمان أنه واقف في طريق التيار الجارف ، وأن الإنسانية لو كانت تريد أن تدين بالقوة الناشئة لما كانت بها حاجة إلى الأديان تظهر بمد القوة الناشئة ، وهي — أي القوة الناشئة — عند الإنسانية من بداية عهدها ، بل من بداية عهد الحيوان

ولهذا نفهم أن مشروعات الإصلاح على مثال مشروع بيفروج لا تدل على هزيمة الحرية الفردية ولا يمكن أن تدل عليها وتطمع في النجاح

ولكنها تدل على التعاون بين الطبقات ، والتعاون بين الأمم ، والتعاون بين الأفراد

تدل على العالمية ، وهي اتساع حرية الفرد في العالم كله ، واتساع حرية كل وطن من الأوطان

وهي تقدم في الانجاء القديم : الانجاء الذي تجلى يوم آمن الإنسان بروحه وتكليفه واستقلاله بين يدي الله

فال حرب الحاضرة قد أظهرت أن الأمم تحارب متعاونات بين جميع طبقاتها ، وينبغي أن تجني فضائل السلم في جميع طبقاتها وعلى هذا الأساس يقوم الإصلاح الصحيح السالك في سبيل التاريخ ، وليس على أساس التناحر بين الطبقات بغير أمل في التوفيق والتعاون والسلام

تبقى الطبقات وتتعاون على المثال الذي ظهر في هذه الحرب

التقابلين : معسكر الحرية الفردية ومعسكر الرقابة الحكومية . فنطق الحوادث إذا انتصر الديمقراطيون ألا تنهزم الديمقراطية ، ولا تنتصر عليها الرقابة الحكومية في نطاق واسع بعيد الآماد وجاز أن تقتبس الديمقراطية بعض الحسنة من النظم الأخرى التي تقبل « الاندماج » في بنيتها ولكن الذي لا يجوز أن تنتصر فيصاب مبدأها بالهزيمة ، وينهدم أساسها الذي قامت عليه

إنما الحقيقة أن مشروع بيفروج وما يحكيه من مشروعات الإصلاح هو انتصار للديمقراطية على الفاشية والشيوعية في جوهر الخلاف بين المسكرين

هو انتصار للقول بتعاون الطبقات على القول بحرب الطبقات ، ومن ثم فهو انتصار للديمقراطيين على المسكر الذي يقابلهم في الحرب الحاضرة

فالديمقراطية هي حكم الأمة بالأمة للأمة ، ولا تناقض بين هذا المبدأ — أو هذا الأساس — وبين تعاون طبقات الأمة على الميشة الاجتماعية

وأنصار الرقابة الحكومية هم القائلون بحرب الطبقات ، وهم الذين يرجعون بالتاريخ من قديم إلى غلبة طبقة واحدة وتسخير سائر الطبقات لمنافع تلك الطبقة ، ويعتقدون أن تفسيرهم للتاريخ الإنساني يقتضي في النهاية أن تتغلب الطبقة العاملة وحدها على الدولة فتتزع الأموال والأموال وتدخلها في حوزة الدولة التي لن يكون فيها يومئذ غير طبقة واحدة

فمبرة الحرب الحاضرة هي انتصار الديمقراطية التي تقول بتعاون جميع الطبقات

بل تقول بعموم مذهب التعاون في العلاقات الدولية والعلاقات الوطنية الداخلية على السواء

وإذا كان للتاريخ الإنساني معنى فهذا هو منطق الحوادث في صراع اليوم ، وهذا هو منطق الحرب الحاضرة إذا شامت لها الأقدار أن تجرى إلى نهايتها على استقامة واعتدال

ونحن نؤمن أن الحرية الفردية هي رائد التاريخ الإنساني من قديم الزمان ، وأنها هي مناط التقدم في الحياة الاجتماعية وفي الحياة النفسية بلا اختلاف